انهُ لبس هذا الزيّ محبّةً فيهم. وكان يجلس كل يوم بين شراريف القلعة ويرمي سبع سهام صيغت نصولها من فضّة. وشاة بذهب كانت تدلُّ على قوّة قوسه. وكان اذا اراد ان يرمي السّهم رفع يدهُ التي فيها القوس فيسقط كُمُّهُ من سعتهِ الى كتفهِ حتى يبان شعر ابطهِ وكان غليظ الذراع ابيض اللون

وحُكي انَّ البعض احضروا لناصر الدين الحسين وهو بالكرك سهمًا من النشّاب المذكور ذي نصل الفضّة الحلّى بالذهب فاذا به نصلٌ عريضٌ ثقيلٌ يدلُّ على قوّة قوسهِ وقد نُقش عليهِ هذان البيتان:

ومن جودنا نرمي العُداةَ بأسهمٍ من الذهب الابريز صيغت نصولها
يداوي بها الجروحُ منها جراحَهُ ويشري بها الاكفان منها قتيلها

فلمّا قرأها ناصر الدين قال: وأيّ شيء كان احمد من هذين البيتين. وهما للامين بن هرون الرشيد وكان لمّا حضرهُ عبدالله بن طاهر في بغداد بعساكر اخيهِ المأمون صنع نصول النشّاب من خالص الذهب ونقش عليها هذين البيتين

واستمرّ ناصر الدين الحسين بن معهُ بالكرك الى سابع عشر سنة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م). وصرف الاحمديُّ على رجّالة بيروت الفًا ومئتين درهم نفقةً عن كل يوم (٥٣) لكلّ راجل درهم (ستأتي البقية)

السفر العجيب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريتو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

ولما انتصف النهار في اليوم التالي وقرس البرد هبّت زوبعة خفيفة فاضطربت الامواج بعض الاضطراب ولكن ما فتئت البواخر الكبيرة تدخل وتخرج ناقلة المسافرين والبضائع الاوربية او مقلّة الركّاب والشحونات من العالم الجديد الى اوربة. وكان المعارف والاصحاب يتصافحون بولاء اذا ما التقوا على ظهر السفن او في القوارب. وأما رصيف الشاطئ الذي قامت عندهُ مدينة نيويرك فهو رصيف في غاية الاتّساع والرحابة يتارج فيهِ الخلق تمأوُّج البحر الخضمّ

وكان فاضل قد لازم المحلّ الذي دفعتهُ اليهِ يدُ الشرطيّ الاميركي فلم يتقلقل منهُ طول

النهار. فلمَّا زحف الليل بسكره وأسفرت الكواكب من خلال الغيوم وأثير الرصيف خفَّت الحركة في الميناء وبعد هنيهة ساد السكوت التامّ حتى لم يعُد يُسمع شيء سوى اصوات بعض الجاذيف في قارب كان قد تأخر عن الدخول الى المرفإ

ثمَّ ان هدوء الليل واشتداد قرسة البرد ايقظا فاضلًا من غفلته فعاد اليه الانتباه شيئًا بعد شيء. وثابت اليه الهمَّة والشهامة ولولا الظلمة لرأيتَ عينيه كالسراجين المتوقدين. واخذ يدور على ظهر الباخرة حيران كانهُ يبحث عمَّا يخفيه من كربته. فلما انتهى الى السلَّم المعيَّنة للنزول الركَّاب ورأى بعض رجال الشرطة قائمين على حراستها عاد الى الوراء متذكرًا ما ذاقهُ بالامس من قسوة الاميركيين. وبينما هو يدور شاهد سُلَّمًا اخرى فنزل فيها بلا فكر فرأى منها امواج البحر ساطعة تحت ضوء القمر وانوار المدينة منعكسةً اليها فاصابهُ صداع وما كان الأكاسح البصر حتى سُمع صوت وقوع جسم في المياه ولم يُسمع بعد ذلك شيء.

فبادر النوتي الذي كان قائمًا على الحراسة وتطلَّع من كوَّة هناك فلم يرَ شيئًا وبعد ان دقَّق النظر برهةً من الزمان عاد الى مركزه وهو يدخن في غليونهِ جازمًا ان الصوت الذي سمعهُ هو صوت عراك اسماك كبيرة اجتمعت حول السفينة لالتهام الاطعمة التي تفضل عن الركاب وتُلقى في البحر. وكان جميع من في السفينة مستغرقين في النوم وغير دارين بفقد احد الركاب. ولكن ماذا عساهُ ان يهمُّهم رجلٌ كهذا حقير

ولنعد الى الكلام على المهاجرين الذين نزلوا في "اليس اسلاند" فانهم صرفوا الليل في الحديث بامور المستقبل دون ان يزور الكرى لهم جفنًا ومع انَّهم راقدون في محلٍّ مزدحم على الحضيض وليس عندهم سوى نور ضعيف يتلاعب به الهواء كانوا فرحين برصولهم الى غاية امانيهم وآمالهم. وكانوا يتقولون في نفوسهم: اليوم في نيويورك وغدًا ان شاء الله في سان فرنسيسكو ومنها الى مناجم الذهب في كاليفورنية او الى تعاطي التجارة في المدن الكبيرة الواقعة على شاطئ الباسيفيكي. وهكذا كانوا يتمثَّلون بالرمح الجزيل والقنى الطائل والثروة الواسعة فيُقسمون انهم لا يعودون الى بلادهم الَّا موسرين. غير انهم في حديثهم كلهِ ما تافظوا بكلمة واحدة تشفقًا على الذين مُنعوا قهرًا وجبرًا عن النزول الى البرّ فبالامس كانوا يكالمونهم كاصدقاء جمعتهم التقادير يومًا ثم اصبحوا لا يتذكرون فيهم الَّا وهم شامتون بهم وفرحون لمصابهم كأنهم نجوا ممَّن حاولوا ان ينازعوهم اسباب الرزق

لمَّا شوارع نيويورك المنارة بالوف من المصابيح الكهربائية المتلألئة فكان الناس

يجولون فيها بكثرة كأنهم في عيد. وكانت ابواب الملاهي مزدحمة بالخلق والعربات وعجلات التراموي الكهربائي او البخاري تذهب وتجيء في كل محل وجهة. وما ذاك الّا لان الاميركيين خصّوا الليل بالفرح والتسلية كما خصّوا النهار بالاعمال وليس من محل في الدنيا كلها تجري فيه هذه القاعدة جريانها في الولايات المتحدة

امّا اولئك المهاجرون المساكين فلم يفرحهم شيء من ذلك ولا التفتوا اليه لأنهم كانوا يفتكرون في مستقبل امرهم وماذا عسى ان يصيروا اليه في غدهم. ومن ثمّ كانوا مغمومين غمًّا عظيمًا لانهم لم يكونوا يدرون اي شيء تدّخر لهم الأيام التالية من الضيقات والمصاعب. ومع هذا كله لم تخطر لهم الديانة على بال ولا التجأوا الى تعزياتها التي من شأنها تلطيف الضيق وتخفيف المصاب. ولكن من اين للطامعين في نيل الذهب ان يأتيهم فكر فائق الطبيعة او خاطر تقويّ يذكرهم بالله تعالى. فيا لهم من اشقياء يجعلون نفوسهم ضحيّة الحرص المفرط والطمع المتزايد ولقد طالما اودى الطمع بارباب

وبعد هدأة من الليل شوهد في ناحية منفردة من الرصيف رجل يسبح بثيابه كان التعب انهكهُ والبرد برّح به تبريحًا فأجهد نفسهُ وارتقى الى البرّ متعلقًا بحلقات من الحديد مغروسة في حجارة الرصيف فلمّا وطئ اليابسة التفت يمينًا وشمالًا فلم يرَ احدًا فاستبشر خيرًا ومشى في وسط الظلمة وهو لا يدري اين يذهب. فان قلتَ من هو هذا السابح ليلًا واستصعبت معرفتهُ اجبناك هو فاضل سجين السفينة «مدينة بوردو». فان فاضلًا هذا وان كان أخرق في تصرّفاته غير انهُ كان يُجيد السباحة جدًّا. وكان في حداثته كثيرًا ما يتنزّل من قريته الى البحر فيعاني السباحة حتى صار أمهر سبّاح بين اهل لبنان وكانت والدتهُ مريم تمانعهُ في ذلك خوفًا عليه من الغرق غير انهُ كان يتحيّن غفلتها فيذهب الى حيث يقصد

وما انتهى فاضل الى البرّ الّا بعد جهد جهيد ومشقّة عظيمة فانهُ لمّا نزل من السفينة التي كانت قريبة من البرّ رأى انهُ اذا اتجه الى الرصيف الذي قبالتها يقع في ايدي الحفَر فيعيدونهُ الى حيث اتى. فاتجه من ثمّ الى الطرف الشمالي من سدّ المرفاء. لكنّ المسافة كانت اطول مما توهّمهُ لاوّل نظرة حتى شعر عدّة مرّات بان يديهِ قد تيبّستا تعبًا وبردًا. لكن جهاد المرء للمحافظة على حياته يوليه قوةً جديدة فجدّ في السباحة حتى وصل اخيرًا الى البرّ بعد مدّة خمس او ست دقائق

ولما وطئ الرصيف وقف هنيهةً في ضوء القمر يعصر ثيابهُ المتبلّلة ثم انساب وعيناهُ

تتطأمان في كل ناحية حتى قطع مسافة من الطريق. وكان يهمّ ان لا يشعر به احد فلذلك كان يمشي على رؤوس اصابعه ويحبس نفسه جهده. ولكن بينما ازمع ان يصل الى طرف الرصيف لمح على مقربة منه اثنين من رجال البوليس فتقهقر فاضل بعض خطوات الى خلف فوجد كوخاً خشبياً خالياً فاختبأ فيه اجتنابًا لاشعّة قنديل كهربائي قريب منه واقام ثمّت ينظر بقلق واضطراب مرور الشرطيّين المذكورين اللذين كانا يمشيان على رسلهما وهما يتحدّثان بشؤون كثيرة. فلمّا انتهيا الى جانب الكوخ على مسافة امتار قليلة منه كاد قلب فاضل يطير من صدره خوفًا. ثمّ تقدّما فخطّى فاضل وجهه بيديه وتصاغر وتخيّل انّ الانوار الكهربائية تخرقه خرقًا وكان قد امتقع لونه وتقعقعت اسنانه وارتعد جسمه

بيد انه لحسن حظّ فاضل كان الشرطيّان مشغولين بالحديث فرًا عليه دون ان يبصراه. فلمّا تأكد ابتعادهما عنه رفع رأسه متنهّدًا ولكنّه بقي في مكانه يرتجف ويخاف اذا خرج من الكوخ ان يلتقي بهما مرّة اخرى او يلتقي بغيرهما من الشرطة وربما ان ثيابه كانت متبلّلة بالماء وهي علامة كافية لمعرفته جزم بأن يصرف بقيّة الليل في الكوخ المذكور ومتى طلع فجر اليوم التالي يستأنف سلوك الطريق المؤدية الى المدينة

وكان البرد في تلك الليلة قارسًا والريح نافخة وصاحبنا المسكين يرتعد من القرّ والخوف معًا ويحسب كلّ دقيقة سنة وكلّ ساعة دهرًا. فلمّا ابيضّ وجه الصباح نهض وهو اقرب الى الموت منه الى الحياة ومشى في الطريق التي رآها امامه. فكان كلما رأى شخصًا اختفى منه حتى لا يراه لأنّه كان يتوهّم ان كل الناس شُرَطة وأُرسلوا في طلبه. ولهذا اجتنب طريق المرفإ كما عدل عن طريق المدينة. وبانت له اوّل طريق سلكها جيّدة ولكنها لما كانت تؤدي الى مركز مدينة نيويورك رجع عنها واخذ يدور ويحور كأنه أرنب روّعها الصيّاد. ولما ظنّ انه وصل الى الخلاء اطلق ساقيه للريح الّا انه ما ابعد قليلًا حتى صار الى حديقة ما زالت تُسمَع فيها اصداء الافراح الليلية فطار عقله. وهمّ بان يجد له منفذًا فجرحته اشواك السياج وأصيب برضوض عديدة من حجارة الحيطان. وكان منذ امس لم يتناول قوتًا فخارت قواه وضعفت عزيمته وفوق هذا كله لم يكن بين يديه شيء من الدراهم حتى يبتاع له رغيفًا ينقذه من ألم الجوع. وبينما هو يواصل السير اذ اصطكّت ركبتاه واصفرّ منه الجبين ووقع بغتةً على الحضيض كأنه قطعة من حطب ثم انطبقت

عيناهُ وسكت نبضهُ عن الحركة وهكذا بقي طريحًا على الطريق التي صارت لهُ مدفنًا لانهُ لم يكن فيها احد لينقذهُ من مخالب الموت

وكان الفجر وقتئذٍ قد ازداد بياضًا وصارت انوار القناديل المكهربائية اقلّ لمانًا. واخذت العصافير البائتة في اشجار الحدائق ترفرف وتحرك اجنحتها المترطبة من ندى الليل

وكان ذلك الصباح صباح يوم احد فسُمعت اصوات جميع الكنائس في نيويرك تدعو المؤمنين الى الصلاة. وبعد برهة اشرقت انوار الشمس متمشية كلّ شيء. اللهمَّ الّا ذاك المهاجر المسكين الذي لبث مضطجعًا على الحضيض دون ان يشاهد طلوع النهار

ألا فابكي يا مريم وانتني شعرك غمًّا ويأسًا. اندبي وحيدك الذي تصرَّع في ارض الغربة ضحيَّة محبَّة الذهب (ستأتي البقية)

كتب شرقية جديدة

دليل لبنان

وضعتهُ ادارة جريدة لبنان وطبع في ببدا سنة ١٨٩٨

اطَّلعنا على هذا الدليل فوجدناهُ مع قلَّة صفحاتهِ كثير الفوائد صدَّرهُ صاحبهُ باسماء سلاطين آل عثمان العظام وأتبعهُ بالعناوين التي تُكتَب لذوي المقامات الرسمية مشفوعة بالافادات عن رُتَب الدولة العلية ونياشينها. ثم الحق به نظام جبل لبنان مع ذكر اسماء المتصرّفين الذين عُهدت اليهم المتصرفية منذ بدء تشكيلها واسماء ارباب المناصب والمأمورين في مركز المتصرفيَّة وكلّ دوائر النواحي والمقاطعات وما يتعلَّق بها. وهو القسم الاهمّ من هذا الدليل ثمّ يلي هذا القسم عدَّة افادات عن دوائر الحكومة اللبنانية وسراياتها ومراكز تلغرافات الجبل واسماء مطابعهِ وجرائدهِ ومدارسهِ الداخلية عامّيَّة كانت او اكليريكيَّة مع بيان طرق عرباتهِ الى غير ذلك من المتفرّقات التي تجعل هذا الدليل حريًّا بالاعتبار. فنثني على همَّة صاحبهِ ونتمنَّى لتأليفهِ كلّ رواج. ولنا الامل أنهُ سيتحسن في السنين القادمة ليضحي دستورًا يُرجَع اليهِ في كلّ امور جبل لبنان